احلام عذراء

كصغار حمام
تاهت في أفق البريه
كانت احلامي الورديه
والناس نيام
في ليلة صيف قمريه
وأنا في جلسة شباكي
أرنو لبعيد الافلاك
والوّنِ افراح العرس
وأغمغم : يا رب رجائي
فتنور بالبهجة نفسي
وأراه بعين الاحلام
كالبدر توشّح بغمام
يختال فتيّ الخطوات
والشال يرف على كتفه
وتدق طبول
فتعانق انغام الارغول
ويموج الدار
وتزغرد امي مبهوره
وترش الملح على الزوار
وأنا في الزفة عصفوره
طارت بجناح
وجناح نام على أسرار
ويقول الناس :
« ما أبرعه في «البرجاس »(١)
هو زين الفتية في القريه ..»
فتغار من القول « أمينه »
ويدق الطبل ويشجينا
ويدور الراقص في الحلبه
وعصاه تدور
كفؤادي في فرح الجلبه
وأنا اختال
في ثوب لماع أخضر
صنعته امي في« البندر »(٢)
ولدي سؤال
حيران يهوم في نفسي
فأغض الطرف .. فلا تظهر
في عيني افراح العرس
كصغار حمام
تاهت في أفق البريه
كانت احلامي الورديه
والناس نيام
في ليلة صيف قمريه

القاهرة — **كمال نشأت**

(١) رقص الخيل والفروسية
(٢) المدينة

ولم يطق صاحب البستان رؤيتها
فاجتثها ، فهوت في النار تستعر

*

ليس لي من هذا الذي اردده شيء ، وانما هي معان استوحيتها من شعر ابي ماضي نفسه . وقلما رأيت شاعرا معاصرا متشبعا برسالته الفنية ومؤمنا بأنه صاحب رسالة في هذه الحياة كأبي ماضي . وقلما رأيت شاعرا كأبي ماضي يلح في شعره على معنى ارسالة في حياة الفنان .

رسالة الشاعر في رأي ابي ماضيهي في ان يعطي ويخصب لا في ان يأخذ فيستأثر :

واذا سر نفوسا انها تحسن الاخذ فسري بالعطاء
واذا اعياك ان تعطي الغنى فافرحي انك تعطين الرجاء

الشاعر في رأي ابي ماضي :

هو من نراه سائرا فوق الثرى وكأن فوق فؤاده خطواته
هو من يعيش لغيره ويظنه منليس يفهمهيعيش لذاته

لم يكن ابو ماضي يرى ان في وسعه ان يكون شاعرا او شيئا يذكر اذا لم يصهر فنه في الحياة او لم يجعله تعبيرا حارا نابضا عن هذه الحياة التي يحس بها الناس جميعا في اعماق وجدانهم ثم لا يحسن التعبير عنها الا الشعراء الحقيقيون :

بني وطني ، من انا في الوجود وما هو شأني وما موضعي
انا انتم ، ان ضحكتم لامر ضحكت ، وأدمعكم أدمعي
ومطرب ارواحكم مطربي وموجع اكبادكم موجعي

الم يقل ابو ماضي مخاطبا قارئه في فاتحة (الخمائل):

أنا غيث فان وجدتك حقلا فأنا العشب والشجر
غير اني اذا لقيتك رملا لست شيئا ، حتى المطر
كن شعاعا يبين فيه كياني لا ظلاما ولا رغام
ولأعش في الشعاع بضع ثوان فهي خير من ألف عام

ان في هذه الابيات لشعورا عميقا بهذا التجاوب المبدع الذي يجب ان يتحقق كاملا بين الشاعر والمجتمع ، وبهذه الاشراقة التي لا بد ان تغمر بضوئها نفس الشاعر ونفوس قرائه معا ، والا كان فنه قشورا لفظية لا تمس قلبا ولا تهز كيانا . وما ابعدنا هنا يا سادتي عن اولئك الذين حسبوا او ما زالوا يحسبون ان الشعر الفاظ تنسق وأوزان توقع ، ثم لا شيء بعد ذلك من هذا الدفء ، وهذا الخفقان ، وهذا التجاوب ، وهذا الشمول :

لست مني ان حسبت الشعر الفاظا ووزنا
خالفت دربك دربي وانقضى ما كان منا

*

يتهيأ لكل منا ان يشهد في حياته كثيرا من الاحتفالات تقام لتكريم الاحياء او الاموات ، ثم لا يتمالك احيانا ان يتساءل عن معناها ومدى اصابتها الغرض . ولكنني اليوم واثق ان ذكرى ابي ماضي جديرة بتكريمكم لانه كان شاعرا عربيا وانسانيا ذا رسالة .

امجد الطرابلسي